

من كتب علم مقارنة الأديان

كتاب في مسخ اليهود قرده

أصحاب السبت في التوراة والإنجيل والقرآن

تأليف الدكتور الشيخ

أحمد حجازي السقا

من كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

مكتبة الإيمان - المنصورة

ت/ ٢٢٥٧٨٨٢

مكتبة المصطفى بن الإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ *

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

كمبيوتر وتصميم

المندى لخدمات الكمبيوتر

M.K.A.

ت: ٥٨٩٧٥٢٩ - ٠١٢/٢٥٩٢٤٦٧

مكتبة الإيمان

المنصورة - أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بخير وإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإن الله تعالى حرم على بنى إسرائيل الأعمال المعتادة فى الزراعة والتجارة والصناعة وما شابه ذلك، فى يوم السبت. أما الأعمال الضرورية كعمل أدوية لشفاء مريض، أو إخراج خروف وقع فى حفرة. فإن هذه الأعمال الضرورية غير محرمة.

وبعض اليهود خالفوا هذا الحكم، واصطادوا سمكا فى يوم سبت وباعوه. وهذا من الأعمال المعتادة المحرم عملها فى يوم السبت. ولما اصطادوا وباعوا؛ مسخهم الله قردة. ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَلْهُمُ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّهِمْ فَنَبَسْنَا بِهِنَّ فَنَفَخْنَا فِيهِنَّ مَوْجًا مَّعْجُونًا فَجَعَلْنَاهُمْ نَكَالًا لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾

وكان المسيح عيسى عليه السلام يشفى بعض المرضى في يوم السبت. والشفاء عمل. ولذلك اغتاظ منه علماء اليهود، وقالوا: إنه كسر السبت. وقد رد المسيح عليهم بأن هذا عمل تقتضيه الضرورة وليس عملاً معتاداً.

ففي الأصحاح الثالث عشر من إنجيل لوقا:

«وكان يعلم في أحد المجامع في السبت. وإذا امرأة كان بها روح ضعف ثمانى عشرة سنة وكانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة. فلما رآها يسوع دعاها وقال لها: يا امرأة إنك محلولة من ضعفك. ووضع عليها يديه ففى الحال استقامت ومجدت الله. فأجاب رئيس المجمع وهو مغتاظ لأن يسوع أبرأ في السبت وقال للجمع: هي ستة أيام ينبغي فيها العمل ففى هذه اثنتوا واستشفوا وليس في يوم السبت. فأجابه الرب وقال: يا مراثنى ألا يحل كل واحد منكم في السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضى به ويسقيه؟ وهذه وهى ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة أما كان ينبغي أن تحل من هذا الرباط في يوم السبت؟ وإذ قال هذا أخجل جميع الذين كانوا يماندونهم وفرح كل الجمع بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه»

ويعد ذلك ضرب أمثلة لمجى الأمة الإسلام فقال:

«فقال: ماذا يشبه ملكوت الله وبماذا أشبهه؟ يشبه حبة خردل أخذها إنسان وألقاها في بستانه فنمت وصارت شجرة كبيرة وتآوت طيور السماء في أغصانها.

وقال أيضاً بماذا أشبه ملكوت الله. يشبه خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكياس دقيق حتى اختمر الجميع.

واجتاز في مدن وقرى يعلم ويسافر نحو أورشليم. فقال له واحد يا سيد أقليل هم الذين يخلصون. فقال لهم. اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق. فأنى أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرّون. من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب وابتدأتم تقفون خارجاً وتقرعون الباب قائلين يا رب يا رب افتح لنا يجيب ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم. حينئذ تبتدون

تقولون أكلنا قدامك يجيب ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم. حينئذ تبتدون تقولون أكلنا قدامك وشربنا وعلمت في شوارعنا. فيقول أقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم. تباعدوا عني يا جميع فاعلى الظلم. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان متى رأيتم إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله وأنتم مطرحون خارجاً. ويأتون من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب ويتكثرون في ملكوت الله. وهو ذا آخرون يكونون أولين وأولون يكونون آخرين» (لوقا ١٣)

ثم اختلف اليهود والمسيحيون في تقديس يوم السبت. فاليهود يقدسونه، والمسيحيون يقدسون الأحد، ولا يقدسون السبت.

والحق مع اليهود إلى ظهور محمد ﷺ فإنه نسخ حرمة السبت، وجعل يوم الجمعة بدله عن أمر الله تعالى.

ففي الوصايا العشر:

«ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً. أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضى. وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياي. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً. لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً. اذكر يوم السبت لتقدس. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزلك الذى داخل أبوابك. لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. واستراح فى اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه. أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك. لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمتة ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك» (الخروج ٢٠)

والمسيح عيسى عليه السلام لم ينقض الناموس أو الأنبياء، حتى يسوغ للمسيحيين أن لا يقدسوا السبت. فقدم تقديسهم يوم السبت؛ ضلال مبين ففى الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى:

«حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه. قائلاً: على كرسى موسى؛ جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون. فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم. وكل أعمالهم يعملونها لى تظهرهم الناس. فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم. ويحبون المتكأ الأول فى اللوائم والمجالس الأولى فى المجامع. والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى. وأما أنتم فلا تدعوا سيدى لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة. ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات. ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح. وأكبركم يكون خادماً لكم. فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع.

لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل. ولعلّة تطيلون صلواتكم. لذلك تأخذون دينونة أعظم. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً. ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً. ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء. ولكن من حلف بذهب الهيكل الذى يقدر الذهب؟ ومن حلف بالعميان أيما أعظم؟ الذهب أم الهيكل الذى يقدر الذهب؟ ومن حلف بالمذبح فليس بشيء. ولكن من حلف بالقرىبان الذى عليه يلتزم. أيها الجهال والعميان أيما أعظم القرىبان؟ أم المذبح الذى يقدر القرىبان؟ فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه. ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالسكان فيه. ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه... إلخ» (متى ٢٣)

وقد جاء في القرآن الكريم: أن المسيح عيسى عليه السلام مصدق لما بين يديه من التوراة، وأن محمداً ﷺ مصدق لما بين يديه من التوراة، ومهيمن عليها. والمهيمن من حقه أن ينسخ أحكاماً من أحكامها. وفي القرآن أنه نسخ السبت، وجعل الجمعة عوضاً عنه. ذلك قوله تعالى:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

وسوف نذكر النصوص بعون الله. ونفسر ما يحتاج إلى تفسير. والله ولي التوفيق.

د/ أحمد حجازي السقا

ميت طريف - دهلية

درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين في موضوع:

«البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل»

الفصل الأول

فى

نصوص من التوراة

عن حرمة يوم السبت والاعتداء فيه

النص الأول:

«فى تلك الأيام رأيت فى يهوذا قومًا يدوسون معاصر فى السبت ويأتون بحُزْم ويحملون حميرًا. وأيضًا يدخلون أورشليم فى يوم السبت بخمر وعنب وتين وكل ما يحمل. فأشهدت عليهم يوم بيعهم الطعام. والصوريون الساكنون بها كانوا يأتون بسمك وكل بضاعة ويبيعون فى السبت لبنى يهوذا وفى أورشليم. فخاصمت عظماء يهوذا وقلت لهم: ما هذا الأمر القبيح الذى تعملونه وتدنسون يوم السبت؟ ألم يفعل آبائكم هكذا فجلب إلينا علينا كل هذا الشر وعلى هذه المدينة وأنتم تزيدون غضبًا على إسرائيل إذ تدنسونه السبت؟ وكان لما أظلمت أبواب أورشليم قبل السبت أنى أمرت بأن تغلق الأبواب وقلت أن لا يفتحوها إلى ما بعد السبت وأقمت من غلمانى على الأبواب حتى لا يدخل حمل فى يوم السبت. فبات التجار وبائعو كل بضاعة خارج أورشليم مرة واثنين. فأشهدت عليهم وقلت لهم: لماذا أنتم بائنون بجانب السور. إن عدتم فإنى ألقى يداً عليكم؟ ومن ذلك الوقت لم يأتوا فى السبت. وقلت لللاويين أن يتطهروا ويأتوا ويحرسوا الأبواب لأجل تقديس يوم السبت. بهذا أيضًا اذكروني يا إلهى وتراءف على حسب كثرة رحمتك» (نحميا ١٣)

النص الثاني:

«ولما كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يحتطب حطباً في يوم السبت. فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطباً إلى موسى وهرون وكل الجماعة. فوضعوه في المحرس لأنه لم يعلن ماذا يفعل به. فقال الرب لموسى: قتل الرجل. يرمجه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة. فأخرجته كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى» (العدد ١٥)

النص الثالث:

وهو في معجزة نبي الله اليسع عليه السلام. وفيها: «لماذا تذهبين إليهِ اليوم؟ لا رأس شهر ولا سبت».

«وصرخت إلى أليشع امرأة من نساء بنى الأنبياء قائلة إن عبدك زوجي قد مات وأنت، تعلم أن عبدك كان يخاف الرب. فأتى المرابى ليأخذ ولدى له عبيدين. فقال لها أليشع ماذا أصنع لك. أخبريني ماذا لك في البيت. فقالت ليس لجاريك شيء في البيت إلا دهن زيت. فقال اذهبي استعيري لنفسك أوعية من خارج من عند جميع جيرانك أوعية فارغة. لا تقللى. ثم ادخلي وأغلقى الباب على نفسك وعلى بنيك وصبى في جميع هذه الأوعية وما امتلأ انقلبيه. فذهبت من عنده وأغلقت الباب على نفسها وعلى بنيتها. فكانوا هم يقدمون لها الأوعية وهي تصب. ولما امتلأت الأوعية قالت لابنها قدم لى أيضاً وعاء. فقال لها لا يوجد بعد وعاء. فوقف الزيت. فأنت وأخبرت رجل الله فقال اذهبي بيعي الزيت وأوفى دينك وعيشى أنت وبنوك بما بقى.

وفى ذات يوم عبر أليشع إلى شونم. وكانت هناك امرأة عظيمة فأمسكته ليأكل خبزاً. وكان كلما عبر يميل إلى هناك ليأكل خبزاً. فقالت لرجلها قد علمت أنه رجل الله مقدس الذى يمر علينا دائماً. فلنعمل عُلْيَةً على الحائط صغيرة ونضع له هناك سريرًا وخوانًا وكرسيًا ومنارة حتى إذا جاء إلينا يميل إليها. وفى ذات يوم جاء إلى هناك ومال إلى العلية واضطجع فيها. فقال:

لجحيزى غلامه ادع هذه الشونمية. فدعاها فوقففت أمامه. فقال له: قل لها هُوذا قد انزعجت بسببنا كل هذا الانزعاج. فماذا يصنع لك. هل لك ما يتكلم به إلى الملك أو إلى رئيس الجيش. فقالت إنما أنا ساكنة فى وسط شعبى. ثم قال فماذا يصنع لها؟ فقال جحيزى إنه ليس لها ابن ورجلها قد شاخ. فقال ادعها. فدعاها فوقففت فى الباب. فقال فى هذا الميعاد نحو زمان الحيوة تحتضنين ابناً. فقالت لا يا سيدى رجل الله لا تكذب على جاريتك. فحبلت المرأة وولدت ابناً فى ذلك الميعاد نحو زمان الحيوة كما قال لها أليشع. وكبر الولد. وفى ذات يوم خرج إلى أبيه إلى الحصادين. وقال لأبيه رأسى رأسى. فقال للغلام احمله إلى أمه. فحمله وأتى به إلى أمه فجلس على ركبتيها إلى الظهر ومات. فصعدت وأضجعت على سرير رجل الله وأغلقت عليه وخرجت. ونادت رجلها وقالت أرسل لى واحداً من الغلمان وإحدى الأتْن فأجرى إلى رجل الله وأرجع. فقال لماذا تذهبين إليه اليوم؟ لا رأس شهر ولا سبت. فقالت سلام. وشدت على الأتان وقالت لغلامها سق وسر ولا تتعوق لأجلى فى الركوب إن لم أقل لك. وانطلقت حتى جاءت إلى رجل الله إلى جبل الكرمل. فلما رآها رجل الله من بعيد قال لجحيزى غلامه هو ذا تلك الشونمية. اركض الآن للقاءها وقل لها أسلام لك؟ أسلام لزوجك؟ أسلام للولد؟ فقالت سلام. فلما جاءت إلى رجل الله إلى الجبل أمسكت رجله. فتقدم جحيزى ليدفعها. فقال رجل الله دعها لأن نفسها مرة فيها والرب كتم الأمر عنى ولم يخبرنى. فقالت هل طلبت ابناً من سيدى. ألم أقل لا تخدعنى. فقال لجحيزى أشدد حقوك وخذ عكازى بيدك وانطلق وإذا صادفت أحداً فلا تباركه وإن باركك أحد فلا تحبه. وضع عكازى على وجه الصبى. فقالت أم الصبى حى هو الرب وحية هى نفسك إننى لا أتركك. فقام وتبعها. وجاز جحيزى قدامهما ووضع العكاز على وجه الصبى فلم يكن صوت ولا مصغ. فرجع للقاءه وأخبره قائلاً لم ينتبه الصبى. ودخل أليشع البيت وإذا بالصبى ميت ومضطجع على سريرته. فدخل

وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب. ثم صعد واضطجع فوق الصبي ووضع فمه على فمه وعينه على عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه فسخن جسد الولد. ثم عاد وتمشى في البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك وصعد وتمدد عليه فعطس الصبي سبع مرات ثم فتح الصبي عينيه. فدعا جحيزى وقال ادع هذه الشونمية. فدعاها ولما دخلت إليه قال احملى ابنك. فأنت وسقطت على رجليه وسجدت إلى الأرض ثم حملت ابنها وخرجت» (الملوك الثانى ٤).

الفصل الثانى

فى

نصوص من القرآن

فى يوم السبت

تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٦٥-٦٦)

فى تفسير الإمام ابن كثير رضى الله عنه:

«يقول تعالى: ولقد علمتم يا معشر اليهود ما حل من البأس بأهل القرية التى عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره إذ كان مشروعا لهم فتحيلوا على اصطلياد الحيتان فى يوم السبت بما وضعوا لها من الشصوص والحبال والبرك قبل يوم السبت فلما جاءت يوم السبت على عادتها فى الكثرة نشبت بتلك الحبال والحيل فلم تخلص منها يومها ذلك فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله إلى صورة القردة وهى أشبه شئ بالأناس فى الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة، فكذلك أعمال هؤلاء وحيلتهم لما كانت مشابهة للحق فى الظاهر ومخالفة له فى الباطن كان جزاؤهم من جنس

عملهم.

وهذه القصة مبسوبة في سورة الأعراف حيث يقول تعالى ﴿وَأَسْأَلُهُمْ
عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾
القصة بكمالها، وقال السدي: أهل هذه القرية هم أهل أيلة، وكذا قال قتادة
وسنورد أقوال المفسرين هناك مبسوبة إن شاء الله وبه الثقة، وقوله تعالى
﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو
حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيع عن مجاهد ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً
خَاسِئِينَ﴾ قال مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة. وإنما هو مثل ضربه الله
﴿كَمَثَلِ الْهَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ ورواه ابن جرير عن المثني عن أبي حذيفة وعن
محمد بن عمر الباهلي وعن أبي عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيع عن
مجاهد به وهذا سند جيد عن مجاهد وقول غريب خلاف الظاهر من السياق
في هذا المقام وفي غيره قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثْوًى
عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ
الطَّاغُوتِ﴾ الآية.

وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً
خَاسِئِينَ﴾ فجعل الله منهم القردة والخنازير، فزعم أن شباب القوم صاروا
قردة، وأن الشيخة صاروا خنازير: وقال شيبان النحوي عن قتادة ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ
كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ فصار القوم قردة تعاوى لها أذنان بعد ما كانوا رجالا
ونساء وقال عطاء الخراساني: نودوا يا أهل القرية ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾
فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون يا فلان ألم ننهكم فيقولون
برؤوسهم أي بلى، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا عبدالله بن
محمد بن ربيعة بالمصيصة حدثنا محمد بن مسلم يعني الطائفي عن ابن أبي
نجيع عن مجاهد عن ابن عباس قال: إنما كان الذين اعتدوا في السبت
فجعلوا قردة فواقا ثم هلكوا ما كان للمسوخ نسل.

وقال الضحاك عن ابن عباس فمسخهم الله قردة بمعصيتهم يقول إذ لا يحيون في الأرض إلا ثلاثة أيام وقال: ولم يعيش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل، وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة أيام التي ذكرها الله في كتابه فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة، وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء. ويحوله كما يشاء وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال يعني أذلة صاغرين.

وروى عن مجاهد وقتادة والربيع وأبي مالك نحوه وقال محمد بن إسحاق عن داود بن أبي الحصين عن عكرمة قال: قال ابن عباس إن الله إنما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم -يوم الجمعة- فخالفوا إلى السبت فعظموه وتركوا ما أمروا به فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره وكانوا في قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين، فحرم الله عليهم في السبت الحيتان صيدها وأكلها وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعا إلى ساحل بحرهم حتى إذا ذهب السبت ذهب فلم يروا حوتا صغيرا ولا كبيرا حتى إذا كان يوم السبت أتين شرعا حتى إذا ذهب السبت ذهب فكانوا كذلك حتى طال عليهم الأمد وقرموا إلى الحيتان عمد رجل منهم فأخذ حوتا سراً يوم السبت فحزمه بخيط ثم أرسله في الماء وأوتد له وتدًا في الساحل فأوثقه ثم تركه حتى إذا كان الغد جاء فأخذه أي إنى لم أخذه في يوم السبت فانطلق به فأكله حتى إذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك ووجد الناس ريح الحيتان فقال أهل القرية والله لقد وجدنا ريح الحيتان، ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل، قال ففعلوا كما فعل وصنعوا سراً زمانا طويلا لم يعجل الله عليهم العقوبة حتى صادوها علانية وباعوها في الأسواق.

فقالت طائفة منهم من أهل البقية ويحكم اتقوا الله ونهوه عما كانوا يصنعون، فقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان ولم تته القوم عما صنعوا: لم

تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا؟ قالوا معذرة إلى ربكم بسخطنا أعمالهم ولعلمهم يتقون، قال ابن عباس: فبينما هم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم فقدوا الناس فلم يروههم قال فقال بعضهم لبعض إن للناس شأنا فانظروا ما هو فذهبوا ينظرون في دورهم فوجدوها مغلفة عليهم قد دخلوها ليلا فغلقوها على أنفسهم كما يغلq الناس على أنفسهم فأصبحوا فيها قردة وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد والمرأة بعينها وإنها لقردة والصبي بعينه وإنه لقرد، قال: قال ابن عباس فلولا ما ذكر الله أنه نجى الذين نهوا عن السوء لقد أهلك الله الجميع منهم، قال وهي القرية التي قال جل شأؤه لمحمد ﷺ ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ الآية. وروى الضحاك عن ابن عباس نحوا من هذا، وقال السدي في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال هم أهل أيلة، وهي القرية التي كانت حاضرة البحر فكانت الحيتان إذا كان يوم السبت - وقد حرّم الله على اليهود أن يعملوا في السبت شيئا لم يبق في البحر حوت إلا خرج حتى يخرجن خراطيمهن من الماء يوم الأحد لزمّن سفّل البحر فلم ير منهن شيء حتى يكون يوم السبت فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ فاشتهد بعضهم السمك فجعل الرجل يحضر الحفيرة ويجعل لها نهرا إلى البحر، فإذا كان يوم السبت فتح النهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة فيريد الحوت أن يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر فيمكث فيها فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه فجعل الرجل يشوى السمك فيجد جاره روائحه فيسأله فيخبره فيصنع مثل ما صنع جاره حتى فشا فيهم أكل السمك فقال لهم علماؤهم: ويحكم إنما تصطادون يوم السبت وهو لا يحل لكم، فقالوا: إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه، فقال الفقهاء لا ولكنكم صدتموه يوم فتحتم له

الماء فدخل، قال وغلبوا أن ينتهوا . فقال بعض الذين نهوهم لبعض ﴿لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا﴾ يقول لم تعظوهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم، فقال بعضهم ﴿معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون﴾ فلما أبوا قال المسلمون والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار ففتح المسلمون بابا والمعتدون في السبت بابا ولعنهم داود عليه السلام.

فجعل المسلمون يخرجون من بابهم والكفار من بابهم، فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم فلما أبطأوا عليهم تسور المسلمون عليهم الحائط فإذا هم قردة يثب بعضهم على بعض ففتحو عنهم فذهبوا في الأرض فذلك قول الله تعالى ﴿فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ وذلك حين يقول ﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم﴾ الآية فهم القردة (قلت) والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد رحمه الله من أن مسخهم إنما كان معنويا لا سوريا بل الصحيح أنه معنوي سوريا والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى ﴿فجعلناها نكالا﴾ قال بعضهم الضمير في فجعلناها عائد على القردة وقيل على الحيتان وقيل على العقوبة وقيل على القرية حكاه ابن جرير والصحيح أن الضمير عائد على القرية، أي فجعل الله هذه القرية والمراد أهلها بسبب اعتدائهم في سبتهم. ﴿نكالا﴾ أي عاقبتناهم عقوبة فجعلناها عبرة كما قال الله عن فرعون ﴿فأخذناه الله نكال الآخرة والأولى﴾ وقوله تعالى ﴿لما بين يديها وما خلفها﴾ أي من القرى، قال ابن عباس: يعني جعلناها بما أحللتنا بها من العقوبة عبرة لما حولها من القرى كما قال تعالى ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون﴾ ومنه قوله تعالى ﴿أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها﴾ الآية على أحد الأقوال فالمراد لما بين يديها وما خلفها في المكان كما قال محمد بن إسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى، وكذا قال سعيد بن جبيرة لما بين يديها وما خلفها، قال من

بحضرتها من الناس يومئذ. وروى عن إسماعيل بن أبي خالد. وقتادة وعطية العوفي: **﴿فجعلناها نكالا لما بين يديها﴾** قال ما قبلها من الماضين في شأن السبت، وقال أبو العالية والربيع وعطية: وما خلفها لما بقى بعدهم من الناس من بنى إسرائيل أن يعملوا مثل عملهم، وكان هؤلاء يقولون المراد لما بين يديها وما خلفها في الزمان. وهذا مستقيم بالنسبة إلى من يأتي بعدهم من الناس أن تكون أهل تلك انقرية عبرة لهم، وأما بالنسبة إلى من سلف قبلهم من الناس فكيف يصح هذا الكلام أن تفسر الآية به وهو أن يكون عبرة لمن سبقهم؟ وهذا لعل أحداً من الناس لا يقوله بعد تصوره - فتعين أن المراد بما بين يديها وما خلفها في المكان وهو ما حولها من القرى كما قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والله أعلم.

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية **﴿فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها﴾** أي عقوبة لما خلا من ذنوبهم، وقال ابن أبي حاتم: وروى عن عكرمة ومجاهد والسدي والفراء وابن عطية: لما بين يديها من ذنوب القوم وما خلفها لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب، وحكى الرازي ثلاثة أقوال: أحدها أن المراد بما بين يديها وما خلفها من تقدمها من القرى بما عندهم من العلم يخبرها بالكتب المتقدمة ومن بعدها. والثاني المراد بذلك من بحضرتها من القرى والأمم. والثالث أنه تعالى جعلها عقوبة لجميع ما ارتكبه من قبل هذا الفعل وما بعده وهو قول الحسن (قلت) وأرجح الأقوال المراد بما بين يديها وما خلفها من بحضرتها من القرى يبلغهم خبرها وما حل بها كما قال تعالى **﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾** الآية وقال تعالى **﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾** الآية وقال تعالى: **﴿أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها﴾** فجعلهم عبرة ونكالا لمن في زمانهم وموعظة لمن يأتي بعدهم بالخبر المتواتر عنهم ولهذا قال **﴿وموعظة للمتقين﴾**.

وقوله تعالى **﴿وموعظة للمتقين﴾** قال محمد بن إسحق عن داود بن

الحصين عن عكرمة عن ابن عباس «وموعظة للمتقين» الذين من بعدهم إلى يوم القيامة وقال الحسن وقتادة «وموعظة للمتقين» بعدهم فيتقون نعمة الله ويحذرونها. وقال السدي وعطية العوفى: «وموعظة للمتقين» قال أمة محمد ﷺ (قلت) المراد بالموعظة هنا الزاجر أى جعلنا ما أحلنا بهؤلاء من البأس والنكال فى مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله وما تحيلوا به من الحيل فليحذر المتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم كما قال الإمام أبو عبدالله بن بطة حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم حدثنا الحسن ابن محمد ابن الصباح الزعفرانى حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمر عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» وهذا إسناد جيد وأحمد بن محمد بن مسلم هذا وثقه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى وباقى رجاله مشهورون على شرط الصحيح والله أعلم. أهـ

تفسير قوله تعالى:

«وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّهِمْ يَوْمَ أَنْجَيْنَا قَوْمًا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ» (الأعراف ١٦٣-١٦٦)

«هذا السياق هو بسط لقوله تعالى «ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت» الآية يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه «واسألهم» أى واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر

الله ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم وهذه القرية هي إيلة وهي على شاطئ بحر القلزم قال محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قال هي قرية يقال لها إيلة بين مدين والطور وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي وقال عبدالله بن كثير القارئ سمعنا أنها إيلة وقيل هي مدين وهو رواية عن ابن عباس وقال ابن يزيد هي قرية يقال لها منتا بين مدين وعينونا وقوله ﴿إِذْ يَمْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ أي يعتدون فيه ويخالفون أمر الله فيه لهم بالوصاية به إذ ذاك ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا﴾ قال الضحاك عن ابن عباس أي ظاهرة على الماء وقال العوفي عن ابن عباس شرعاً من كل مكان قال ابن جرير وقوله ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ﴾ أي نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده وإخفائها عنهم في اليوم الحلال لهم صيده ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ﴾ نختبرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يقول بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطى الحرام.

وقد قال الفقيه الإمام أبو عبدالله بن بطة رحمه الله حدثنا أحمد ابن محمد بن سلم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» وهذا إسناد جيد فإن أحمد بن محمد بن سلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه ووثقه وباقي رجاله مشهورون ثقات ويصحح الترمذي بمثل هذا الإسناد كثيراً.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا

نَهَوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٠٠﴾

يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت كما تقدم بيانه في سورة البقرة وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم وفرقة سكنت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة ﴿لَمْ تَعْظُون قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أى لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة في نهيكهم إياهم؟ قالت لهم المنكرة ﴿مُعَذِّبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ﴾ قرأ بعضهم بالرفع كأنه على تقدير هذا معذرة وقرأ آخرون بالنصب أى نفعل ذلك ﴿مُعَذِّبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ﴾ أى فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقولون ولعل لهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم قال تعالى ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أى فلما أبى الفاعلون قبول النصيحة ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أى ارتكبوا المعصية ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا ولا ارتكبوا عظمياً فيذموا ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو من الناجين على قولين، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ هى قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها إيلة فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم وكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعاً فى ساحل البحر فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها فمضى على ذلك ما شاء الله ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة وقالوا تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم؟ فلم يزدادوا إلا غيًّا وعتوًّا وجعلت طائفة أخرى تنهاهم فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب ﴿لَمْ تَعْظُون قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ﴾

وكانوا أشد غضباً لله من الطائفة الأخرى فقالوا **«معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون»** وكل قد كانوا ينهون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم والذين قالوا معذرة إلى ربكم وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة.

وروى العوفى عن ابن عباس عنه قريباً من هذا. وقال حماد بن زيد عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قال ما أدري أنجا الذين قالوا **«لم تعظون قوماً الله مهلكهم»** أم لا؟ قال فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا فكساني حلة.

وقال عبد الرازق أخبرنا ابن جريج حدثني رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يوماً وهو يبكي وإذا المصحف في حجره فأعظمت أن أدنو منه ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت ما يبكيك يا ابن عباس جعلني الله فداك؟ قال: فقال هؤلاء الورقات قال وإذا هو في سورة الأعراف قال تعرف إيلة؟ قلت نعم قال فإنه كان بها حى من اليهود سبقت الحيتان إليهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدرון عليها حتى يغوصوا بعد كد ومؤنة شديدة كانت تأتيمهم يوم سبتهم شرعاً بيضاء سماناً كأنها الماخض تنتطح ظهورها لبطونها بأفئيتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر.

ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال إنما نهيتهم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه وكلوها في غيره من الأيام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة بل نهيتهم عن أكلها وأخذها وصيدها يوم السبت فكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها واعتزلت طائفة ذات اليمين وتحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت وقال الأيمنون ويلكم الله، ننهاكم أن تتعرضوا لعقوبة الله وقال الأيسرون **«لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً»** قال الأيمنون **«معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون»** أى ينتهون، إن ينتهوا فهو أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم فمضوا على الخطيئة وقال الأيمنون فعلتم يا أعداء الله والله

لنأتينكم الليلة في مدينتكم والله ما نراكم تصبحون حتى يصبحكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا فلم يجابوا فوضعوا سماً وأعلوا سور المدينة رجلاً فالتفت إليهم فقال أى عباد الله قردة والله تعادى تعادى لها أذنان قال ففتحو فدخلوا عليهم فعرفت القروء أنسابها من الإنس ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة فجعلت القروء يأتيها نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي فيقول ألم ننهكم عن كذا فتقول برأسها أى نعم ثم قرأ ابن عباس **﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهاون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾** قال فأرى الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء نذكرها ولا نقول فيها، قال قلت جعلنى الله فداك ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا **﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾** قال فأمر لى فكسيت ثوبين غليظين، وكذا روى مجاهد عنه، وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا أشهب بن عبد العزيز عن مالك قال زعم ابن رومان أن قوله تعالى **﴿تأتيهم حياتهم يوم سببتهم شرعاً ويوم لا يسببتون لا تأتيهم﴾** قال كانت تأتيهم يوم السبت فإذا كان الماء ذهب فلا يرى منها شيء إلى يوم السبت الآخر فاتخذ لذلك رجل خيطاً ووتداً فربط حول منها فى الماء يوم السبت حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتواه فوجد الناس ريحه فأتوه فساءلوه عن ذلك فجحدهم فلم يزالوا به حتى قال لهم فإنه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدري لعله قال ربط حوتين فلما أمسى من ليلة الأحد أخذه فاشتواه فوجدوا رائحة فجاءوا فساءلوه فقال لهم لو شئتم صنعتكم كما أصنع. فقالوا له وما صنعت؟ فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة له ريش يفلقونها عليهم فأصابهم من المسخ ما أصابهم فغدوا عليهم جيرانهم ممن كانوا حلوهم يطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغلقة عليهم فتنادوا فلم يجيبوهم فتسوروا عليهم فإذا هم قردة فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ويتمسح به، وقد قدمنا فى سورة البقرة من الآثار فى خبر هذه القرية ما فيه

مقنع وكفاية ولله الحمد والمنة.

(القول الثاني) أن الساكتين كانوا من الهالكين قال محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال ابتدعوا السبت فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر فإذا انقضى السبت ذهب فلم تر حتى السبت المقبل فإذا جاء السبت جاءت شرعا فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتاً فخزم أنفه ثم ضرب له وتدّاً في الساحل وربطه وتركه في الماء، فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ولا ينهاهم منهم أحد إلا عصبه منهم نهوه حتى ظهر ذلك في الأسواق ففعل علانية قال فقالت طائفة للذين ينهونهم ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَيْكُمْ﴾ فقالوا نسخط أعمالهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. فلما نسوا ما ذكروا به - إلى قوله - قردة خاسئين﴾ قال ابن عباس كانوا أثلاثاً ثلث نهوا وثلث قالوا ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ﴾ وثلث أصحاب الخطيئة فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم، وهذا إسناد جيد عن ابن عباس ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى من القول بهذا لأنه تبين حالهم بعد ذلك والله أعلم، وقوله تعالى ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِثَابٍ﴾ فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقوا نجوا وبئس فيه قرآت كثيرة ومعناه في قول مجاهد الشديد، وفي رواية أليم وقال قتادة موجه والكل متقارب والله أعلم، وقوله ﴿خَاسِئِينَ﴾ أي ذليلين حقيرين مهانين» أمه

تفسير قوله تعالى:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَيَحْكُمَنَّ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿

يقول تعالى ﴿وقفينا﴾ أى أتبعنا على آثارهم يعنى أنبياء بنى إسرائيل ﴿بميسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ أى مؤمناً بها حاكماً بما فيها ﴿وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور﴾ أى هدى إلى الحق ونور يستضاء به فى إزالة الشبهات وحل المشكلات ﴿ومصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ أى متبعاً لها غير مخالف لما فيها إلا فى القليل مما بين لبنى إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه كما قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبنى إسرائيل ﴿ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم﴾ ولهذا كان المشهور^(١) من قول العلماء: أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة. وقوله تعالى ﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾ أى وجعلنا الإنجيل هدى يهتدى به وموعظة أى زاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم للمتقين أى لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه. وقوله تعالى: ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ قرئ وليحكم أهل الإنجيل بالنصب على أن اللام لام كى أى وآتيناه الإنجيل ليحكم أهل ملته به فى زمانهم^(٢). وقرئ وليحكم بالجزم على أن اللام لام الأمر أى ليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أمروا به فيه. ومما فيه البشارة ببعثة محمد والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد كما قال

(١) المؤلف ناقض نفسه. فإنه قال حاكماً بما فيها. ثم قال إلا فى القليل. والصحيح: أن الإنجيل لم ينسخ التوراة. والذى نسخ التوراة هو القرآن. وكان المسيح يحل لهم بعض ما حرمه العلماء من تلقاء أنفسهم.

(٢) المسيح لم يكن ملكاً أو قاضياً. والإنجيل عام فى زمانه وغير زمانه لأنه بشرى بمجئ محمد رسول الله ﷺ.

الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الآية. وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ إلى قوله ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ ولهذا قال ههنا: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي الخارجون عن طاعة ربهم المائلون إلى الباطل التاركون للحق وقد تقدم أن هذه الآية نزلت في النصارى وهو ظاهر من السياق.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

لما ذكر تعالى التوراة التي أنزلها على موسى كليمه ومدحها وأثنى عليها وأمر باتباعها حيث كانت سائفة الاتباع وذكر الإنجيل ومدحه وأمر أهله بإقامته وأسبغ ما فيه كما تقدم بيانه؛ شرع في ذكر القرآن العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم فقال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عنده الله ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي من الكتب^(١) المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ فكان نزوله كما أخبرت به مما زادها صدقاً عند حاملها من ذوى البصائر الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله وصدقوا رسل الله كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى

(١) الصحيح كتاب التوراة فقط.

عليهم يخرّون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ﴿أى إن كان ما وعد الله على السنة رسله المتقدم من مجئ محمد عليه السلام لمفعولاً أى لكائنا لا محالة حسن، وقوله تعالى ﴿ومهيماً عليه﴾ قال سفيان الثوري وغيره عن أبى إسحق عن التميمي عن ابن عباس أى مؤتمناً عليه، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: المهيمن الأمين. قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله ورواه عن عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب وعطية والحسن وقتادة وعطاء والخراساني والسدي وابن زيد نحو ذلك وقال ابن جرير القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل وعن الوالى عن ابن عباس ﴿ومهيماً﴾ أى شهيداً وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وقال العوفي عن ابن عباس ﴿ومهيماً﴾ أى حاكماً على ما قبله من الكتب. وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى. فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله جعل الله هذا الكتاب العظيم الذى أنزله آخر الكتب وخاتمتها وأشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس فى غيره. فلماذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى ﴿إننا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

فأما ما حكاه ابن أبى حاتم عن عكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني وابن أبى نجيع عن مجاهد أنهم قالوا فى قوله ﴿ومهيماً عليه﴾ يعنى محمداً ﷺ أمين على القرآن. فإنه صحيح فى المعنى ولكن فى تفسير هذا بهذا نظروا فى تنزيله عليه من حيث العربية أيضاً نظراً، وبالجمله فالصحيح الأول. وقال أبو جعفر بن جرير بعد حكايته له عن مجاهد: وهذا التأويل بعيد من المفهوم فى كلام العرب بل هو خطأ وذلك أن المهيمن عطف على المصدق فلا يكون إلا صفة لما كان المصدق صفة له. ولو كان الأمر كما قال مجاهد لقال: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه﴾ يعنى من غير عطف.

وقوله تعالى: ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾ أى فاحكم يا محمد بين الناس عربهم وعجمهم أميهم وكتاييهم بما أنزل الله إليك من هذا الكتاب العظيم^(١) وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه فى شرعك. هكذا وجهه ابن جرير بمعنىناه. قال ابن أبى حاتم: حدثنا محمد بن عمار حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قال: كان النبى ﷺ مخيراً إن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم فردهم إلى أحكامهم. فنزلت ﴿وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فأمر رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم بما فى كتابنا، وقوله ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أى آراءهم التى اصطالحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله. ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أى لا تتصرف عن الحق الذى أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء.

وقوله تعالى ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن يوسف بن أبى إسحق عن أبيه عن التميمي أبى إسحق عن التميمي عن ابن عباس ﴿وَمَنْهَاجًا﴾ قال سنة. وكذا روى العوفي عن ابن عباس ﴿شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ سبيلاً وسنة. وكذا روى عن مجاهد وعكرمة والحسن البصرى وقتادة والضحاك والسدى وأبى إسحق السبيعي أنهم قالوا فى قوله ﴿شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ أى سبيلاً وسنة. وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد أى وعطاء الخراسانى عكسه شرعة ومنهاجاً أى سنة وسبيلاً. والأول أنسب فإن الشرعة وهى الشريعة أيضاً هى ما يبتدأ فيه إلى الشئ ومنه يقال شرع فى كذا أى ابتدأ فيه. وكذا الشريعة وهى ما يشرع فيها إلى الماء. أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل، والسنن الطرائق، فتفسير قوله ﴿شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ بالسبيل والسنة أظهر فى المناسبة من العكس والله أعلم.

(١) قوله وبما قرره لك من حكم... إلخ قول باطل. لأن المنسوخ من التوراة لا يعمل به.

ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد كما ثبت في صحيح البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد» يعنى بذلك التوحيد الذى بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآية. وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس وخفيفاً فيزداد في الشدة في هذه دون هذه وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

قال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قوله ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ يقول: سبيلاً وسنة والسنن مختلفة هي في التوراة شريعة وفي الإنجيل شريعة^(١)، وفي الفرقان شريعة، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذى لا يقبل الله غيره التوحيد والإخلاص لله الذى جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام. وقيل: المخاطب بهذه الآية هذه الأمة. ومعناه: لكل جعلنا القرآن منكم أيتها الأمة شرعة ومنهajaً. أى هو لكم كلكم تقتدون به، وحذف الضمير المنصوب في قوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أى جعلنا يعنى القرآن شرعة ومنهajaً. أى سبيلاً إلى المقاصد الصحيحة وسنة أى طريقاً ومسلكاً واضحاً بيناً، هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد رحمه الله، والصحيح القول الأول ويدل على ذلك قوله تعالى بعده ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فلو كان هذا خطاباً لهذه الأمة لما صح أن يقول ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وهم أمة واحدة ولكن هذا خطاب لجميع الأمم^(٢) وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التى لو

(١) الإنجيل ليس شريعة. فإن المسيح ما نقض الناموس.

(٢) قوله لجميع الأمم ينقضه أنه يتكلم عن امتين اثنتين.

شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة لا ينسخ شيء منها؛ ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة^(١) على حدة ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده؛ حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداً ﷺ الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة، وجعله خاتم الأنبياء كلهم. ولهذا قال تعالى: ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم﴾ أى أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ليعتبر عباده فيما شرع لهم ويشيهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله. وقال عبدالله ابن كثير ﴿فيما آتاكم﴾ يعنى من الكتاب.

ثم إنه تعالى ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها فقال ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ وهى طاعة الله واتباع شرعه الذى جعله ناسخاً لما قبله والتصديق بكتابه القرآن الذى هو آخر كتاب أنزله.

ثم قال تعالى: ﴿إلى الله مرجعكم﴾ أى معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ أى فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق فيجزي الصادقين بصدقهم ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان بل هم معاندون للبراهين القاطعة، والحجج البالغة والأدلة الدامغة، وقال الضحاك ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ يعنى أمة محمد ﷺ والأول أظهر. وقوله: ﴿وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾ تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك النهى عن خلافه. ثم قال: ﴿واحذروهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ أى واحذروا أعداءك اليهود أن يدلوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من الأمور فلا تغتربهم فإنهم كذبة كفرية خونة ﴿فإن تولوا﴾ أى عما تحكم به بينهم من الحق وخالفوا شرع الله ﴿فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾ أى فاعلم أن ذلك كائن عن قدرة الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما لهم من الذنوب السالفة التى اقتضت

(١) الشرائع ثلاثة فقط: نوح وموسى ومحمد عليه الصلاة والسلام.

(٢) المراد بالناس: اليهود فقط.

إضلالهم ونكالهم ﴿وإن كثيراً من الناس﴾^(٢) لفاسقون ﴿أى إن أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم مخالفون للحق ناكبون عنه كما قال تعالى ﴿وما أكثر الناس ولو حصرت بؤمئنين﴾ وقال تعالى ﴿وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ الآية. اهـ

تفسير قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾

فى تفسير الإمام ابن كثير رضى الله عنه:

«يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من أهل الكتاب: ﴿هل تتقون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل﴾ أى هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة. فيكون الاستثناء منقطعاً كما فى قوله تعالى ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ وكقوله ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ وفى الحديث المتفق عليه «ما ينقم ابن جبل إلا أن كان فقيراً فأغناه الله» وقوله ﴿وإن أكثركم فاسقون﴾ معطوف على ﴿أن آمنا بالله وما أنزل من قبل﴾ أى وآمنا بأن أكثركم فاسقون أى خارجون عن الطريق المستقيم.

ثم قال ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ أى هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونونه بنا؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله ﴿من لعنه الله﴾ أى أبعد من رحمته ﴿وعُظِبَ عليه﴾ أى غضباً لا يرضى بعده أبداً ﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾ كما تقدم بيانه فى سورة البقرة وكما سيأتى إيضاحه فى سورة الأعراف وقد قال سفيان الثورى عن علقمة بن يزيد عن المغيرة بن عبد الله عن المعمر بن

سويد عن ابن مسعود قال سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهى مما مسخ الله فقال «إن الله لم يهلك قومًا أو قال لم يمسخ قومًا فيجعل لهم نسلًا ولا عقبًا وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك» وقد رواه مسلم من حديث سفيان الثوري ومسعر كلاهما عن مغيرة بن عبد الله الشكري به، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا داود بن أبي الفرات عن محمد بن زيد عن أبي الأعين المعبدي عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهى من نسل اليهود فقال «لا، إن الله لم يلعن قومًا قط فيمسخهم فكان لهم نسل ولكن هذا خلق كان فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم» ورواه أحمد من حديث داود بن أبي الفرات به، وقال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي حدثنا أحمد بن إسحق بن صالح حدثنا الحسن بن محبوب حدثنا عبد العزيز بن المختار عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «الحيات مسخ الجن كما مسخت القردة والخنازير» هذا حديث غريب جدًا، وقوله تعالى ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ قرئ وعبد الطاغوت على أنه فعل ماض والطاغوت منصوب به أى وجعل منهم من عبد الطاغوت وقرئ وعبد على أنه جمع لجمع عبد وعبيد وعبد مثل ثمار وثمر حكاها ابن جرير عن الأعمش وحكى عن بريدة الأسلمي أنه كان يقرأها وعابد الطاغوت على أنه مفعول ما لم يسم فاعله ثم استبعد معناها والظاهر أنه لا بعد فى ذلك لأن هذا من باب التعريض بهم أى وقد عبدت الطاغوت فيكم وأنتم الذين فعلتموه وكل هذه القرآت يرجع معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين فى ديننا الذى هو توحيد الله وإفراده بالعبادات دون ما سواه كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر ولهذا قال ﴿أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سِوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وهذا من باب استعمال أفعال التفضيل فيما ليس فى الطرف الآخر مشاركة كقوله عز وجل ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾. اهـ



لعنة الله على اليهود

في الزبور

اعلم: أن سفر الزبور كله هو عن محمد ﷺ بمعنى: أن الله تعالى قدر وجود محمد، وقدر أنه يتكلم بصفاته وأحواله، وأوحى إلى داود عليه السلام بكل الكلام الذي تكلم به محمد - في الأزل - فدونه عن أمر الله في الزبور، قطعاً قطعاً. وقد لغا اليهود في كل زبور بوضعهم عبارات تدل على أن هذا الزبور لداود وهو هارب من وجه شاول. وهكذا لكي يُبعدوا دلالة كل مزموّر على محمد ﷺ والغرض من أن الله قدر محمداً متكلماً: هو أنه إذا جاء، وقال كلاماً في القرآن هو بمعنىاه في الزبور، وتطابق كلامه مع ما في الزبور. وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب؛ يعلمون أنه هو الذي تكلم داود على لسانه. وعن هذا جاء في القرآن الكريم: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ واللاعن لهم هو محمد في المزمور ١١٩ أي أن داود يتكلم على لسان محمد. وهذا هو نص المزمور بتمامه. وإذا تأملت فيه وجدت الحروف الأبجدية المشابهة لأوائل السور القرآنية المبدوءة بالحروف، ووجدت كل المعاني التي فيه موجودة في القرآن الكريم:

النص:

المزمور المئة والتاسع عشر

أ

طوبى للكاملين طريقاً السالكين في شريعة الرب. طوبى لحافظي شهاداته. من كل قلوبهم يطلبونه. أيضاً لا يرتكبون إثماً. في طريقه يسلكون. أنت أوصيت بوصاياك أن تحفظ تماماً. ليت طرقى تثبت في حفظ فرائضك. حينئذ لا أخزي إذا نظرت إلى كل وصاياك. أحمذك باستقامة قلب عند تعلمي أحكام عدلك. وصاياك أحفظ. لا تتركني إلى الغاية.

ب

بم يزكى الشاب طريقه. بحفظه إياه حسب كلامك. بكل قلبى طلبتك. لا تضلنى عن وصاياك. خبأت كلامك فى قلبى لكيلا أخطئ إليك. مبارك أنت يا رب علمنى فرائضك. بشفتى حسبت كل أحكام فمك. بطريق شهادتك فرحت كما على كل الفنى. بوصاياك ألهج والاحظ سبلك. بفرائضك ألتذذ. لا أنسى كلامك.

ج

أحسن إلى عبدك فأحيا وأحفظ أمرك. اكتشف عن عيني فأرى عجائب من شريعتك. غريب أنا فى الأرض. لا تخف عنى وصاياك. انسحقت نفسى شوقاً إلى أحكامك فى كل حين. انتهزت المتكبرين الملاعين الضالين عن وصاياك. دحرج عنى العار والإهانة لأننى حفظت شهادتك. جلس أيضاً رؤساء تقاولوا علىّ. أما عبدك فيناجى بفرائضك. أيضاً شهادتك هى لذتى أهل مشورتى.

د

لصقت بالتراب نفسى فأحينى حسب كلمتك. قد صرحت بطرقى فاستجبت لى. علمنى فرائضك. طريق وصاياك فهمنى فأناجى بعجائبك. قطرت نفسى من الحزن. أقمنى حسب كلامك. طريق الكذب أبعد عنى وبشريعتك ارحمنى. اخترت طريق الحق. جعلت أحكامك قدامى. لصقت بشهادتك. يا رب لا تخزنى. فى طريق وصاياك أجرى لأنك ترحب قلبى.

هـ

علمنى يا رب طريق فرائضك فأحفظها إلى النهاية. فهمنى فألاحظ شريعتك وأحفظها بكل قلبى. دربنى فى سبيل وصاياك لأنى به سررت. أمل قلبى إلى شهادتك لا إلى المكسب. حول عيني عن النظر إلى الباطل. فى طريقك أحينى. أقم لعبدك قولك الذى لمتقيك. أزل عارى الذى حذرت منه

لأن أحكامك طيبة. هأنذا قد اشتيت وصاياك. بعدلك أحيى.

و

لأتى رحمتك يا رب خلاصك حسب قولك. فأجوب معيرى كلمة. لأنى
اتكلم على كلامك. ولا تنزع من فمى كلام الحق كل النزع لأنى انتظرت
أحكامك. فأحفظ شريعتك دائماً إلى الدهر والأبد. وأتمشى فى رحب لأنى
طلبت وصاياك. وأتكلم بشهادتك قدام ملوك ولا أخزى. وأتلىذ بوصاياك التى
أحببت. وأرفع يدى إلى وصاياك التى وددت وأناجى بفرائضك.

ز

أذكر لعبدك القول الذى جعلتلى أنتظره. هذه هى تعزيتى فى مذلتى. لأنى
قولك أحيانى. المتكبرون استهزأوا بى إلى الغاية. عن شريعتك لم أمل. تذكرت
أحكامك منذ الدهر يا رب فتعزيت. الحمية أخذتلى بسبب الأشرار تاركى
شريعتك. ترنيمات صارت لى فرائضك فى بيت غربتى. ذكرت فى الليل اسمك
يا رب وحفظت شريعتك. هذا صار لى لأنى حفظت وصاياك.

ح

نصيبى الرب قلت لحفظ كلامك. ترضيت وجهك بكل قلبى. ارحمنى
حسب قولك. تفكرت فى طرقى ورددت قدمى إلى شهادتك. أسرع ولم
أتوان لحفظ وصاياك. حبال الأشرار التفت على. أما شريعتك فلم أنسها. فى
منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك. رفيق أنا لكل الذين يتقونك
ولحافظى وصاياك. رحمتك يا رب قد ملأت الأرض. علمنى فرائضك.

ط

خيراً صنعت مع عبدك يا رب حسب كلامك. ذوقاً صالحاً ومعرفة
علمنى لأنى بوصاياك آمنت. قبل أن أذل أنا ضللت. أما الآن فحفظت قولك.
صالح أنت ومحسن علمنى فرائضك. المتكبرون قد لفقوا على كذباً. أما أنا
فبكل قلبى أحفظ وصاياك. سمن مثل الشحم قلبهم. أما أنا فبشريعتك أتلىذ.
خير لى أنى تذلت لكى أتعلم فرائضك. شريعة فمك خير لى من ألوف ذهب.

وفضة

ى

يداك صنعتانى وأنشأتانى. فهمنى فأتعلم وصاياك. متقوك يرونى
فيفرحون لأنى انتظرت كلامك. قد علمت يا رب أن أحكامك عدل وبالحق
أذللتنى. فلتصر رحمته لتعزيتى حسب قولك لعبدك. لتأتى مراحمك فأحيا
لأن شريعتك هى لذتى. ليخز المتكبرون لأنهم زوراً افتروا على. أما أنا
فأناجى بوصاياك. ليرجع إلى متقوك وعارفو شهادتك. ليكن قلبى كاملاً فى
فرائضك لكيلا أخزى.

ك

تاقت نفسى إلى خلاصك. كلامك انتظرت. كلت عيناى من النظر إلى
قولك فأقول متى تعزيتى. لأنى قد صرت كزق فى الدخان. أما فرائضك فلم
أنسها. كم هى أيام عبدك. متى تجرى حكماً على مضطهدى. المتكبرون قد
كروا لى حفائر. ذلك ليس حسب شريعتك. كل وصاياك أمانة. زوراً
يضطهدوننى. أعنى لولا قليل لأفنونى من الأرض. أما أنا فلم أترك وصاياك.
حسب رحمته أحيى فأحفظ شهادات فمك.

ل

إلى الأبد يا رب كلمتك مثبتة فى السموات. إلى دور فدور أمانتك.
أسست الأرض فثبتت. على أحكامك ثبتت اليوم لأن الكل عبيدك. لو لم تكن
شريعتك لذتى لهلكت حينئذ فى مذلتى. إلى الدهر لا أنسى وصاياك لأنك بها
أحييتنى. لك أنا فخلصنى لأنى طلبت وصاياك. إياى انتظر الأشرار ليهلكونى.
بشهادتك أفلن. لكل كمال رأيت حدا. أما وصيتك فواسعة جدا.

م

كم أحببت شريعتك. اليوم كله هى لهجى. وصيتك جعلتنى أحكم من
أعدائى لأنها إلى الدهر هى لى. أكثر من كل معلمى تعقلت لأن شهادتك هى

لهجى. أكثر من الشيوخ فطنت لأنى حفظت وصاياك. من كل طريق شر منعت رجلى لكى أحفظ كلامك. عن أحكامك لم أمل لأنك أنت علمتى. ما أحلى قولك لحنكى أحلى من العسل لفى. من وصاياك أتفطن. لذلك أبغضت كل طريق كذب.

ن

سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى. حلفت فأبره أن أحفظ أحكام برك. تذلت إلى الغاية. يا رب أحنى حسب كلامك. أرتض بمندوبات فمى يا رب وأحكامك علمنى. نفسى دائماً فى كفى. أما شريعتك فلم أنسها. الأشرار وضعوا لى فخا. أما وصاياك فلم أضل عنها. ورثت شهادتك إلى الدهر لأنها هى بهجة قلبى. عطفت قلبى لأصنع فرائضك إلى الدهر إلى النهاية.

س

المتقلبين أبغضت وشريعتك أحببت. سترى ومجنى أنت. كلامك انتظرت. انصرفوا عنى أيها الأشرار فأحفظ وصايا إلهى. اعضدنى حسب قولك فأحيا ولا تخزنى من رجائى. أسندنى فأخلص وأراعى فرائضك دائماً. احتقرت كل الضالين عن فرائضك لأن مكرهم باطل. كزغل عزلت كل أشرار الأرض. لذلك أحببت شهادتك. قد اقشعر لحمى من رعبك ومن أحكامك جزعت.

ع

أجريت حكماً وعدلاً. لا تسلمنى إلى ظالمى. كن ضامن عبدك للخير. لكيلا يظلمنى المستكبرون. كلت عيناي اشتياقاً إلى خلاصك وإلى كلمة برك. اصنع مع عبدك حسب رحمتك وفرائضك علمنى. عبدك أنا. فهمنى فأعرف شهادتك. إنه وقت عمل للرب. قد نقضوا شريعتك. لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والإبريز. لأجل ذلك حسبت كل وصاياك فى كل شىء مستقيمة. كل طريق كذب أبغضت.

ف

عجيبة هي شهادتك لذلك حفظتها نفسي. فتح كلامك ينير يعقل الجاهل. فغرت فمي ولهت لأنى إلى وصاياك اشتقت. التفت إلى وارحمنى كحق محبى اسمك. ثبت خطواتى فى كلمتك ولا يتسلط على إثم. افدنى من ظلم الإنسان فأحفظ وصاياك. أضئ بوجهك على عبدك وعلمنى فرائضك. جداول مياه جرت من عينى لأنهم لم يحفظوا شريعتك.

ص

بار أنت يا رب وأحكامك مستقيمة. عدلاً أمرت بشهادتك وحقاً إلى الغاية. أهلكتى غيرتى لأن أعدائى نسوا كلامك. كلمتك ممحصه جدا وعبدك أحبها. صغير أنا وحقير. أما وصاياك فلم أنسها. عدلك عدل إلى الدهر وشريعتك حق. ضيق وشدة أصابانى أما وصاياك فهي لذاتى. عادلة شهادتك إلى الدهر فهمنى فأحيا.

ق

صرخت من كل قلبى. استجب لى يا رب. فرائضك أحفظ. دعوتك. خلصنى فأحفظ شهادتك. تقدمت فى الصبح وصرخت. كلامك انتظرت. تقدمت عينى الهزع لكى ألهج بأقوالك. صوتى استمع حسب رحمتك. يا رب حسب أحكامك أحيى. اقترب التابعون الرذيلة. عن شريعتك بعدوا. قريب أنت يا رب وكل وصاياك حق. منذ زمان عرفت من شهادتك أنك إلى الدهر أسستها.

د

انظر إلى ذلى وأنقذنى لأنى لم أنس شريعتك. أحسن دعواى وفكنى. حسب كلمتك أحيى. الخلاص بعيد عن الأشرار لأنهم لم يلتمسوا فرائضك.

كثيرة هي مراحمك يا رب. حسب أحكامك أحيى. كثيرون مضطهدى ومضايقى. أما شهادتك فلم أمل عنها. رأيت الغادرين ومقت لأنهم لم يحفظوا كلمتك. انظر أنى أحببت وصاياك. يا رب حسب رحمتك أحيى. رأس كلامك حق وإلى الدهر كل أحكام عدلك.

ش

رؤساء اضطهدونى بلا سبب. ومن كلامك جزع قلبى. أبتهج أنا بكلامك كمن وجد غنيمة وافرة. أبغضت الكذب وكرهته. أما شريعتك فأحببتها. سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك. سلامة جزيلة لمحبنى شريعتك وليس لهم معثرة. رجوت خلاصك يا رب ووصاياك عملت. حفظت نفسى شهادتك وأحبها جداً. حفظت وصاياك وشهادتك لأن كل طرقى أمامك.

ت

ليبلغ صراخى إليك يا رب. حسب كلامك فهمنى. لتدخل طلبتى إلى حضرتك. ككلمتك نجنى. تتبع شفتاى تسبيحاً إذا علمتتى فرائضك. يغنى لسانى بأقوالك لأن كل وصاياك عدل. لتكن يدك لمعونتى لأننى اخترت وصاياك. اشتقت إلى خلاصك يا رب وشريعتك هى لذتى. لتحن نفسى وتسبحك وأحكامك لتعنى. ضللت كشاة ضالة. اطلب عبيدك لأنى لم أنس وصاياك» (مزمو ١١٩).



تفسير قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة ٩-١٠)

«إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل فيها الله خيراً إلا أعطاه إياه كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبدة بن حميد عن منصور عن أبي معشر عن إبراهيم عن علقمة عن قرثع الضبي حدثنا سلمان قال قال أبو القاسم عليه السلام «يا سلمان ما يوم الجمعة؟» قلت الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ يوم الجمعة يوم جمع الله فيه أبواكم أو أبوكم» وقد روى عن أبي هريرة من كلامه نحو هذا فإله أعلم، وقد كان يقال له في اللغة القديمة يوم العروبة، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق آدم، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع، واليهود غداً والنصارى بعد غد» لفظ البخاري وفي لفظ لمسلم «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق» وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إلينا، وليس المراد بالسعى ههنا المشى السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَ سَعَى

لها سعيها وهو مؤمن» وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضى الله عنهما يقرآنها «فامضوا في ذكر الله» فأما المشى السريع إلى الصلاة فقد نهى عنه لما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما كنتم فصلوا وما فاتكم فأتوا» لفظ البخارى وعن أبي قتادة قال: بينما نحن نصلى مع النبي ﷺ إذ مع جلبة رجال فلما صلى قال «ما شأنكم؟» قالوا استعجلنا إلى الصلاة قال «فلا تفعلوا: إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتوا». أخرجاه وقال عبد الرازق أخبرنا معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن اثتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتوا» رواه الترمذى من حديث عبد الرازق كذلك وأخرجه من طريق يزيد بن زريع عن معمر عن الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة بمثله، قال الحسن أما والله ما هو بالسعى على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع. وقال قتادة في قوله **«فاسمعوا إلى ذكر الله»** يعنى أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشى إليها وكان يتأول قوله تعالى **«فلما بلغ معه السعى»** أى المشى معه، وروى عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك.

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها لما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال «إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل» ولهما عن أبي سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم «حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده» رواه مسلم، وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «على كل رجل مسلم في سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة» رواه أحمد والنسائى وابن حبان.

وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعى

عن حسان بن عطية عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها» وهذا الحديث له طرق وألفاظ وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكنأما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكنأما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكنأما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكنأما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكنأما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» أخرجاه.

ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر وفي حديث أبي سعيد المتقدم «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس في طيب أهله».

وقال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن إبراهيم التيمي عن عمران بن أبي يحيى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أيوب الأنصاري سمعت رسول الله ﷺ يقول من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع إن بداله ولم يؤذ أحداً ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلى كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى، وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النمار فقال «ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعه سوى ثوبى مهنته» رواه ابن ماجه. وقوله تعالى ﴿إِذَا نودى للصلاة من يوم الجمعة﴾ المراد بهذا النداء هو النداء الثانى الذى كان يفعل بين يدي رسول

الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد فأما النداء الأول الذى زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فإنما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخارى رحمه الله حيث قال: حدثنا آدم هو ابن أبى إياس حدثنا ابن أبى إياس حدثنا ابن أبى ذئب عن الزهري عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثانى على الزوراء يعنى يؤذن به على الدار التى تسمى الزوراء وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم حدثنا محمد بن راشد المكحول عن مكحول أن النداء كان فى الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الإمام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذى يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودى به، فأمر عثمان رضى الله عنه أن ينادى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس . وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار كما هو مقرر فى كتب الفروع .

وقوله تعالى ﴿وَذُرُوا الْبَيْعَ﴾ أى اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودى للصلاة ولهذا اتفق العلماء رضى الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثانى، واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر فى موضعه والله أعلم . وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أى ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم أى فى الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون . وقوله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أى فرغ منها ﴿فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ لما حجر عليهم فى التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ فى الانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله كما كان عراك بن مالك رضى الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إنى أجبته دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فأرزقني من فضلك وأنت خير

الرازقين رواه ابن أبي حاتم.

وروى عن بعض السلف أنه قال: من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكرًا كثيرًا ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة.

ولهذا جاء في الحديث «من دخل سوقًا من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة» وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ أي على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة، وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائمًا على المنبر إلا القليل منهم وقد صح بذلك الخبر فقال الإمام أحمد حدثنا ابن إدريس عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: قدمت غير مرة المدينة ورسول الله ﷺ يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلًا فنزلت ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ أخرجاه في الصحيحين من حديث سالم به.

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: بينما

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب يوم الجمعة فقدمت غير إلى المدينة فابتدئها أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فقال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لو متابعت حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى ناراً» ونزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ وقال كان في الاثنى عشر الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، وفي قوله تعالى ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائماً.

وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: كانت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس، ولكن ههنا شيء ينبغي أن يعلم وهو: أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل حدثنا محمود بن خالد عن الوليد أخبرني أبو معاذ بكير بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول كان رسول الله ﷺ يصلى يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى إذا كان يوم والنبي ﷺ يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة. يعنى فانفضوا ولم يبق معه إلا نفر يسير وقوله تعالى ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أى الذى عند الله من الثواب في الدار الآخرة ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أى لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته» اهـ

الفصل الثالث فى نصوص من الإنجيل عن يوم السبت

النص الأول:

فى الأصحاح السادس من إنجيل لوقا:

«وفى السبت الثانى بعد الأول اجتاز بين الزروع. وكان تلاميذه يقطفون السنابل ويأكلون وهم يفركونها بأيديهم. فقال لهم قوم من الفريسيين لماذا تفعلون ما لا يحل فعله فى السبت. فأجاب يسوع وقال لهم أما قرأتم ولا هذا الذى فعله داود حين جاع هو والذين كانوا معه. كيف دخل بيت الله وأخذ خبز التقديمة وأكل وأعطى الذين معه أيضاً. الذى لا يحل أكله إلا للكهنة فقط. وقال لهم إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً.

وفى سبت آخر دخل المجمع وصار يعلم. وكان هناك رجل يده اليمنى يابسة. وكان الكتبة والفريسيون يراقبونه هل يشفى فى السبت لكى يجدوا عليه شكاية. أما هو فعلم أفكارهم وقال للرجل الذى يده يابسة قم وقف فى الوسط. فقام ووقف. ثم قال لهم يسوع أسألكم شيئاً. هل يحل فى السبت فعل الخير أو فعل الشر. تخلص نفس أو إهلاكها. ثم نظر حوله إلى جميعهم وقال للرجل مد يدك. ففعل هكذا. فعادت يده صحيحة كالأخرى. فامتأوا واحمقاً وصاروا يتكالمون فيما بينهم ماذا يفعلون بيسوع.

وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى. وقضى الليل له فى الصلوة لله. ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر الذين سماهم أيضاً رسلاً. سمعان الذى سماه أيضاً بطرس وأندراوس أخاه. يعقوب ويوحنا. فيلبس وبرثولماوس. متى وتوما. يعقوب بن حلفي وسمعان الذى يدعى الفيلور. يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الإسخريوطى الذى صار مسلماً أيضاً.

ونزل معهم ووقف فى موضع سهل هو وجمع من تلاميذه وجمهور كثير من الشعب من جميع اليهودية وأورشليم وساحل صور وصيداء الذين جاءوا ليسمعوه ويشفوا من أمراضهم. والمعدبون من أرواح نجسة. وكانوا يبرأون. وكل الجمع طلبوا أن يلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه وتشفى الجميع.

ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله. طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون. طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون. طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيروكم وأخرجوا اسمكم كشريير من أجل ابن الإنسان. افرحوا فى ذلك اليوم وتهللوا. فهذا أجركم عظيم فى السماء. لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء. ولكن ويل لكم أيها الأغبياء. لأنكم قد نلتهم عزاءكم. ويل لكم أيها الشبايع لأنكم ستجوعون. ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون. ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً. لأنه هكذا كان آباؤهم يفعلون بالأنبياء الكذبة.

لكنى أقول لكم أيها السامعون أحبوا أعداءكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. باركوا لاعنيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم. من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضاً. ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضاً. وكل من سألك فأعطه. ومن أخذ الذى لك فلا تطالبه. وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا. وإن أحببتم الذين يحبونكم فأى فضل لكم. فإن الخطاة أيضاً يحبون الذين يحبونهم. وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأى فضل لكم. فإن الخطاة أيضاً يفعلون هكذا. وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأى فضل لكم. فإن الخطاة أيضاً يقرضون الخطاة

لكي يستردوا منهم المثل. بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بنى العلى فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار. فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم. ولا تدنوا فلا تدانوا. لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم. اغفروا يغفر لكم. أعطوا تعطوا. كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذى به تكيلون يكال لكم. وضرب لهم مثلاً. هل يقدر أعمى أن يقود أعمى. أما يسقط الاثنان في حفرة. ليس التلميذ أفضل من معلمه. بل كل من صار كاملاً يكون مثل معلمه. لماذا تنظر القذى الذى في عين أخيك. وأما الخشبة التى في عينك فلا تفتن لها. أو كيف تقدر أن تقول لأخيك يا أخى دعنى أخرج القذى الذى في عينك. وأنت لا تنظر الخشبة التى في عينك. يا مرأتى أخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذى في عين أخيك. لأنه ما من شجرة جيدة تثمر ثمرًا ردياً. ولا شجرة ردية تثمر ثمرًا جيداً. لأن كل شجرة تعرف من ثمرها. فإنهم لا يجتنون من الشوك تيناً ولا يقطفون من العليق عنباً. الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح. والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر. فإنه من فضلة القلب يتكلم فمه. ولماذا تدعوننى يا رب يا رب وأنتم لا تفعلون ما أقوله. كل من يأتى إلى ويسمع كلامى ويعمل به أرىكم من يشبهه. يشبه إنساناً بنى بيتاً وحفر وعمق ووضع الأساس على الصخر. فلما حدث سيل صدم النهر ذلك البيت فلم يقدر أن يزعه لأنه كان مؤسساً على الصخر. وأما الذى يسمع ولا يعمل فيشبهه إنساناً بنى بيته على الأرض من دون أساس. فصدمه النهر فسقط حالاً وكان خراب ذلك البيت عظيماً» (لوقا ٦).

النص الثانى:

وهو نص يذكر أصحاب القرية فى سورة يس.

«وكان فى أنطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذى يدعى نيجر ولوكيوس القيروانى ومناين الذى ترى مع هيرودس رئيس

الربيع وشاول. وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه. فاصموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما.

فهذان إذ أرسلوا من الروح انحدرنا إلى سلوكية ومن هناك سافرا فى البحر إلى قبرس. ولما صارا فى سلاميس ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود. وكان معهما يوحنا خادماً. ولما اجتازا الجزيرة إلى بافوس وجدا رجلاً ساحراً نبياً كذاباً يهودياً اسمه باريشوع. كان مع الوالى سرجيوس بولس وهو رجل فهيم. فهذا دعا برنابا وشاول والتمس أن يسمع كلمة الله. فقاومهما عليم الساحر. لأن هكذا يترجم اسمه. طالباً أن يفسد الوالى عن الإيمان.

وأما شاول الذى هو بولس أيضاً فامتلاً من الروح القدس وشخص إليه وقال أيها الممتلئ كل غش وكل خبث يا ابن إبليس يا عدو كل بر ألا تزال تفسد سبيل الله المستقيمة. فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين. ففى الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتمساً من يقوده بيده. فالوالى حينئذ لما رأى ما جرى آمن مندهشاً من تعليم الرب.

ثم ألق من بافوس بولس ومن معه وأتوا إلى برجة بمفيلية. وأما يوحنا ففارقهم ورجع إلى أورشليم. وأما هم فجازوا من برجة وأتوا إلى أنطاكية بيسيدية ودخلوا المجمع يوم السبت وجلسوا. وبعد قراءة الناموس والأنبياء أرسل إليهم رؤساء المجمع قائلين أيها الرجال الإخوة إن كانت عندهم كلمة وعظ للشعب فقولوا. فقام بولس وأشار بيده وقال:

أيها الرجال الإسرائيليون والذين يتقون الله اسمعوا. إله شعب إسرائيل هذا اختار آبائنا ورفع الشعب فى الغربة فى أرض مصر. وبذراع مرتفعة أخرجهم منها. ونحو مدة أربعين سنة احتمل عوائدهم فى البرية. ثم أهلك سبع أمم فى أرض كنعان وقسم لهم أرضهم بالقرعة. وبعد ذلك فى نحو أربعمائة وخمسين سنة أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبى. ومن ثم طلبوا ملكاً فأعطاهم الله شاول بن قيس رجلاً من سبط بنيامين أربعين سنة. ثم

عزله وأقام لهم داود ملكاً الذى شهد له أيضاً إذ قال وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبى الذى سيصنع كل مشيئتى. من نسل هذا حسب الوعد أقام الله لإسرائيل مخلصاً يسوع. إذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعمودية التوبة لجميع شعب إسرائيل. ولما صار يوحنا يكمل سعيه جعل يقول من تظنون أنى أنا. لست أنا إياه لكن هو ذا يأتى بعدى الذى لست مستحقاً أن أحل حذاء قدميه.

أيها الرجال الإخوة بنى جنس إبراهيم والذين بينكم يتقون الله إليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص. لأن الساكنين فى أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا. وأقول الأنبياء التى تقرأ كل سبت تمموها إذ حكموا عليه. ومع أنهم لم يجدوا علة واحدة للموت طلبوا من بيلاطس أن يقتل. ولما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه فى قبر. ولكن الله أقامه من الأموات. وظهر أياماً كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم الذين هم شهوده عن الشعب. ونحن نبشركم بالموعد الذى صار لأبائنا إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً فى المزمور الثانى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك. إنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد فهكذا قال إنى سأعطيكم مراحم داود الصادقة. ولذلك قال أيضاً فى مزمور آخر لن تدع قدوسك يرى فساداً. وأما الذى أقامه الله فلم ير فساداً. فليكن معلوماً عندكم أيها الرجال الإخوة أنه بهذا ينادى لكم بغفران الخطايا. وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى. فانظروا لئلا يأتى عليكم ما قيل فى الأنبياء. انظروا أيها المتهاونون وتعجبوا واهلكوا لأننى عملاً أعمل فى أيامكم. عملاً لا تصدقون إن أخبركم أحد به.

ويعد ما خرج اليهود من المجمع جعل الأمم يطلبون إليهما أن يكلماهم بهذا الكلام فى السبت القادم. ولما أنقضت الجماعة تبع كثيرون من اليهود والدخلاء المتعبدین بولس وبرنابا اللذين كانا يكلمانهم ويقنعانهم أن يثبتوا فى نعمة الله. وفى السبت التالى اجتمعت كل المدينة تقريباً لتسمع كلمة الله.

فلما رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرة وجعلوا يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدفين. فجاهر بولس وبرنابا وقالوا كان يجب أن تكلموا أنتم أولاً بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتكم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية. هو ذا نتوجه إلى الأمم. لأن هكذا أوصانا الرب. قد أقمتك نوراً للأمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض. فلما سمع الأمم ذلك كانوا يفرحون ويمجدون كلمة الرب. وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية. وانتشرت كلمة الرب في كل الكورة. ولكن اليهود حركوا النساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة وأثاروا اضطهاداً على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخومهم. أما هما فنفضا غبار أرجلهما عليهم وأتيا إلى إيقونية. وأما التلاميذ فكانوا يمثلثون من الفرح والروح القدس.

وحدث في إيقونية أنهما دخلاً معاً إلى مجمع اليهود وتكلما حتى آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين. ولكن اليهود غير المؤمنين غروا وأفسدوا نفوس الأمم على الإخوة. فأقاما زماناً طويلاً يجاهران بالرب الذي كان يشهد لكلمة نعمته ويعطى أن تجرى آيات وعجائب على أيديهما. فانشق جمهور المدينة فكان بعضهم مع اليهود وبعضهم مع الرسلين. فلما حصل من الأمم واليهود مع رؤسائهم هجوم ليبغوا عليهما ويرجموهما. شعرا به فهربا إلى مدينتي ليكاونية لسترة ودرية وإلى الكورة المحيطة. وكانا هناك يبشران.

وكان يجلس في لسترة رجل عاجز الرجلين مقعد من بطن أمه ولم يمش قط. هذا كان يسمع بولس يتكلم. فشخص إليه وإذ رأى أن له إيماناً ليشفى. قال بصوت عظيم قم على رجليك منتصباً. فوثب وصار يمشي. فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكاونية قائلين إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا. فكانوا يدعون برنابا زفس وبولس هرمس إذ كان هو المتقدم في الكلام. فأتى كاهن زفس الذي كان قدام المدينة بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد أن يذبح. فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقاً ثيابهما واندفعا إلى الجمع صارخين. وقائلين أيها الرجال لماذا تفعلون هذا. نحن

أيضاً بشر تحت الآم مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم. مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً. ويقولهما هذا كفا الجموع بالجهد عن أن يذبخوا لهما. ثم أتى يهود من أنطاكية وإيقونية وأقتموا الجموع فرجموا بولس وجروه خارج المدينة ظانين أنه قد مات. ولكن إذ أحاط به التلاميذ قام ودخل المدينة وفى الغد خرج مع برنابا إلى درية. فبشرا فى تلك المدينة وتلميذا كثيرين. ثم رجعا إلى لسترة وإيقونية وأنطاكية يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان وأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله. وانتخبا لهم قسوساً فى كل كنيسة ثم صلبا بأصوام واستودعاهم للرب الذى كانوا قد آمنوا به. ولما اجتازا فى بيسيدية أتيا إلى بمفيلية. وتكلما بالكلمة فى برجة ثم نزلا إلى أتالية. ومن هناك سافرا فى البحر إلى أنطاكية حيث كانا قد أسلما إلى نعمة الله للعمل الذى أكملاه. ولما حضرا وجمعا الكنيسة أخبرا بكل ما صنع الله معهما وأنه فتح للأمم باب الإيمان. وأقاما هناك زماناً ليس بقليل مع التلاميذ.

وانحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا. فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسول والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسلسلة. فهؤلاء بعد ما شيعتهم الكنيسة اجتازوا فى فينيقية والسامرة يخبرونهم برجوع الأمم وكانوا يسببون سروراً عظيماً لجميع الإخوة. ولما حضروا إلى أورشليم قبلتهم الكنيسة والرسول والمشايخ فأخبروهم بكل ما صنع الله معهم. ولكن قام أناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين وقالوا إنه ينبغى أن يختنوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى.

فاجتمع الرسل والمشايع لينظروا في هذا الأمر. فبعد ما حصلت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم أيها الرجال الإخوة أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بضمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون. والله العارف القلوب شهد لهم معطيًا لهم الروح القدس كما لنا أيضًا. ولم يميز بيننا وبينهم بشيء إذ طهر بالإيمان قلوبهم. فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله. لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضًا. فسكت الجمهور كله. وكانوا يسمعون برنابا وبولس يحدثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهم.

وبعد ما سكتا أجاب يعقوب قائلاً أيها الرجال الإخوة اسمعوني. سمعان فقد أخبر كيف افتقد الله أولاً الأمم لياخذ منهم شعباً على اسمه. وهذا توافقه أقوال الأنبياء كما هو مكتوب. سأرجع بعد هذا وأبني أيضاً خيمة داود الساقطة وأبني أيضاً ردمها وأقيمها ثانية. لكي يطلب الباقون من الناس الرب وجميع الأمم الذين دعى اسمي عليهم يقول الرب الصانع هذا كله. معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله. لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم. بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم. لأن موسى منذ أجيال قديمة له في كل مدينة من يكرز به إذ يقرأ في المعامع كل سبت... إلخ» (أع ١٣-١٥)



﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا بِالْبَلَاغِ الْمُبِينِ﴾

«يقول تعالى واضرب يا محمد لقومك الذين كذبوك ﴿مَثَلًا أَصْحَابَ

القرية إذ جاءها المرسلون» قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب الأحبار ووهب بن منبه: أنها مدينة أنطاكية وكان بها ملك يقال له انطيوخس بن انطيوخس وكان يعبد الأصنام فبعث الله تعالى إليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم. وهكذا روى عن بريدة بن الخصيب وعكرمة وقتادة والزهرى أنها أنطاكية.

وقد استشكل بعض الأئمة كونها أنطاكية بما سنذكره بعد تمام القصة إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ أى بادروهما بالكذب ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أى قويتهما وشددنا أزهرهما برسول ثالث. قال ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الحبابي قال: كان اسم الرسولين الأولين شمعون^(١) ويوحنا واسم الثالث بولس والقرية أنطاكية ﴿فَقَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أى فكيف أوحى إليكم وأنتم بشر ونحن بشر^(٢) فلم لا أوحى إلينا مثلكم ولو كنتم رسلاً لكنتم ملائكة وهذه شبهة كثير من الأمم المكذبة. كما أخبر الله تعالى عنهم فى قوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أى استعجبوا من ذلك وأنكروه، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَانْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ وقوله تعالى حكاية عنهم فى قوله تعالى: ﴿وَلِئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا؟﴾ ولهذا قال هؤلاء: ﴿وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ قالوا رينا يعلم إنا إليكم لمرسلون» أى أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين: الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كذبة عليه؛ لانتم منا أشد الانتقام ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار كقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ - ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يقولون إنما علينا أن نبلفكم ما

(١) فى الإنجيل برنابا بدل شمعون.

(٢) الأصح: وأنتم يهود مثلنا على ديننا.

أرسلنا به إليكم. فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والأخرى وإن لم تجيبوا فستعلمون غيب ذلك. والله أعلم.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾

فعند ذلك قال لهم أهل القرية ﴿إنا نطيرنا﴾^(١) بكم ﴿أي لم نر على وجهكم خيراً في عيشنا. وقال قتادة يقولون: إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم. وقال مجاهد يقولون: لم يدخل مثلكم إلى القرية إلا عذاب أهلها﴾ لئن لم تنتهوا لنرجمنكم ﴿قال قتادة: بالحجارة، وقال مجاهد: بالشمث﴾ وليلمسنكم منا عذاب أليم ﴿أي عقوبة شديدة، فقالت لهم رسلهم: ﴿طائركم معكم﴾ أي مردود عليكم. كقوله تعالى في قوم فرعون: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه. ألا إنما طائرهم عند الله﴾ وقال قوم صالح: ﴿اطيرنا بك ومن معك. قال: طائركم عند الله﴾ وقال قتادة ووهب بن منبه: أي أعمالكم معكم، وقال عز وجل: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ وقوله تعالى: ﴿أئن ذكركم؟ بل أنتم قوم مسرفون﴾ أي من أجل أنا ذكرناكم^(٢) وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له؛ قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا وتهددتمونا. بل أنتم قوم مسرفون. وقال قتادة: أي إن ذكرناكم بالله؛ تطيرتم منا؟ بل أنتم قوم مسرفون.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ

(١) التطير من أعمال السحر، والمراد أنتم سحرة مثلنا. وذلك لأنه الذي قاومهم كان ساحرا يهوديا.

(٢) ذكرهم بالتوراة التي فيها كلام عن محمد ﷺ.

مِنْ دُونِهِ آلِهَةٌ إِنْ يُرِدْنَ الرَّحْمَنُ بَضْرًا لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿

قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب الأحبار ووهب بن منبه: أن أهل القرية هموا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى أى لينصرهم من قومه. قالوا: وهو حبيب. وكان يعمل الحرير وهو الحباك. وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه، مستقيم الفطرة، وقال ابن إسحاق عن رجل سماه عن الحكم عن مقسم أو مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: اسم صاحب يس حبيب. وكان الجذام قد أسرع فيه. وقال الثوري عن عاصم الأحول عن أبي مجلز: كان اسمه حبيب بن سري. وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: اسم صاحب يس حبيب النجار، فقتله قومه. وقال السدي: كان قصاراً. وقال عمر بن الحكم: كان إسكافاً. وقال قتادة: كان يتعبد فى غار هناك ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً﴾ أى على إبلاغ الرسالة ﴿وهم مهتدون﴾ فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ﴿وما لى لا أعبد الذى فطرني﴾ أى وما يمنعنى من إخلاص العبادة للذى خلقنى وحده لا شريك له ﴿والله ترجعون﴾ أى يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿أأخذ من دونه آلهة﴾؟ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع ﴿إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون﴾ أى هذه الآلهة التى تعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئاً. فإن الله تعالى لو أرادنى بسوء ﴿فلا كاشف له إلا هو﴾ وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ولا ينقذوننى مما أنا فيه ﴿إنى إذا لفى ضلال مبين﴾ أى إن اتخذتها آلهة من دون الله، وقوله تعالى: ﴿إنى آمنت بربكم فاسمعون﴾ قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب ووهب يقول لقومه ﴿إنى آمنت بربكم﴾ الذى كفرتم به ﴿فاسمعون﴾ أى فاسمعوا قولى، ويحتمل أن يكون

خطابه للرسول بقوله: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أى الذى أرسلكم ﴿فاسمعون﴾ أى فاشهدوا لى بذلك عنده. وقد حكاه ابن جرير قال: وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسول وقال لهم: اسمعوا قولى لتشهدوا لى بما أقول لكم عند ربى إني آمنت بربكم واتبعتكم. وهذا القول الذى حكاه عن هؤلاء أظهر فى المعنى. والله أعلم.

قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب ووهب رضى الله عنهم: فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن له أحد يمنع عنه، وقال قتادة: جعلوا يرمونه بالحجارة. وهو يقول: اللهم اهد قومى؛ فإنهم لا يعلمون. فلم يزالوا به حتى أقعصوه. وهو يقول كذلك. فقتلوه -رحمه الله-

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُودٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾

قال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود رضى الله عنه: أنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصة من دبره وقال الله له: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ فدخلها فهو يرزق فيها. قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصَبها. وقال مجاهد: قيل لحبيب النجار: ادخل الجنة. وذلك أنه قتل فوجبت له. فلما رأى الثواب ﴿قال يا ليت قومى يعلمون﴾ قال قتادة: لا تلقى المؤمن إلا ناصحاً لا تلقاه غاشاً. لما عاين ما عاين من كرامة الله تعالى: ﴿قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾ تمنى -والله- أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هجم عليه. وقال ابن عباس: نصح قومه فى حياته بقوله: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ وبعد مماته فى قوله: ﴿يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾ رواه ابن أبى حاتم. وقال سفيان الثورى عن عاصم الأحول عن أبى مجلز ﴿بما غفر لى ربى وجعلنى من

المكرمين﴾ بإيماني برى وتصديق المرسلين. ومقصوده: أنهم لو اطلعوا على ما حصل لى من الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل. فرحمه الله ورضى عنه. فلقد كان حريصاً على هداية قومه. قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا هشام بن عبيد الله، حدثنا ابن جابر هو محمد بن عبد الملك، يعنى ابن عمير قال: قال عروة بن مسعود الثقفى رضى الله عنه للنبي ﷺ: إبعثنى إلى قومي أَدعوهم إلى الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «إنى أخاف أن يقتلك» فقال: لو وجدونى نائماً ما أيقظونى، فقال له رسول الله ﷺ: «انطلق» فانطلق فمرَّ على اللات والعزى. فقال: لأصبحنك غداً بما يسوءك، فغضبت ثقيف. فقال: يا معشر ثقيف إن اللات لا لات وإن العزى لا عزى. أسلموا تسلموا يا معشر الأحلاف. إن العزى لا عزى وإن اللات لا لات. أسلموا تسلموا. قال ذلك ثلاث مرات. فرماه رجل فأصاب أكحله. فقتله. فبلغ رسول الله ﷺ فقال: «هذا مثل كمثل صاحب يس» **﴿قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾** وقال محمد بن إسحاق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم أنه حدث عن كعب الأحبار أنه ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بنى مازن بن التجار الذى كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة حين جمل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم. ثم يقول: أتشهد أنى رسول الله؟ فيقول: لا أسمع. فيقول له مسيلمة لعنه الله: أسمع هذا ولا تسمع ذلك؟ فيقول: نعم. ثم يقول: أتشهد أنى رسول الله؟ فيقول: لا أسمع. فيقول مسيلمة لعنه الله: أسمع هذا ولا تسمع ذلك؟ فيقول: نعم. فجعل يقطعه عضواً عضواً. كلما سأله لم يزد على ذلك حتى مات فى يديه. فقال كعب حين قيل له اسمه حبيب، وكان الله صاحب يس اسمه حبيب.

وقوله تبارك وتعالى **﴿وما أنزلنا على قومه من بعده﴾** (١) من جند من السماء وما كنا منزلين﴾ يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه غضباً

(١) لم يرسل الله أنبياء على قومه أى على اليهود لأن النبوة فيهم انقطعت بعيسى عليه السلام.

منه تبارك وتعالى عليهم، لأنهم كذبوا رسله وقتلوا وليه. ويذكر عز وجل أنه ما أنزل عليهم وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم بل الأمر كان أيسر من ذلك. قاله ابن مسعود فيما رواه ابن إسحاق عن بعض أصحابه أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جَنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أى ما كاثرتناهم بالجموع، الأمر كان أيسر علينا من ذلك.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ قال: فأهلك الله تعالى ذلك الملك وأهل أنطاكية فبادوا عن وجه الأرض، فلم يبق منهم باقية. وقيل: ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أى وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكتناهم بل نبعث عليهم عذاباً يدمرهم، وقيل: المعنى في قوله تعالى ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جَنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أى من رسالة أخرى إليهم. قاله مجاهد وقتادة. قال قتادة: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾^(١) فإذا هم خامدون. قال ابن جرير: والأول أصح لأن الرسالة لا تسمى جنداً. قال المفسرون: بعث الله تعالى إليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فأخذ بعضادتي باب بلدهم ثم صاح فيهم صيحة: واحدة، فإذا هم خامدون عن آخرهم، لم يبق فيهم روح تتردد في جسد.



وقد تقدم عن كثير من السلف: أن هذه القرية هي أنطاكية، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كما نص عليه قتادة وغيره، وهو الذى لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره، وفي ذلك نظر من وجوه:

(أحدها) أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل^(٢) الله عز وجل لا من جهة المسيح عليه السلام كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ إلى أن قالوا ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا

(١) في يوم الرب.

(٢) قول ابن كثير مردود بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾.

إليكُم لمرسلون. وما علينا إلا البلاغ المبين» ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام والله تعالى أعلم، ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: «إن أنتم إلا بشر مثنا»

(الثاني) أن أهل أنطاكية آمنوا برسُل المسيح إليهم. وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح^(١). ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربع اللاتي فيهن بتاركة. وهن القدس لأنها بلد المسيح، وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، والإسكندرية لأن فيها اصطلاحوا على اتخاذ البطاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهبان، ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم ووطده، ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البطرك من رومية إليها. كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين.

فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت؛ فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخدمتهم. والله أعلم.

(الثالث) أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري رضى الله عنه وغير واحد من السلف: أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة، لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم^(٢)، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، ذكروه عند قوله تبارك وتعالى «ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى».

فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية^(٣)، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضاً، أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظاً في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة. فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك.

(١) أنهم خرجوا منها للدعوة.

(٢) إنه أهلك الذين اعتدوا منهم في يوم السبت.

(٣) إنهم كانوا من أنطاكية يرسلون رسلاً يسمون برسُل رسول الله مجازاً.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا الحسين بن أبي السرى العسقلاني حدثنا حسين الأشقر حدثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «السبق ثلاثة فالسابق إلى موسى عليه الصلاة والسلام يُوشع^(١) بن نون، والسابق إلى عيسى عليه الصلاة والسلام صاحب السابق إلى محمد ﷺ على بن أبي طالب رضى الله عنه» فإنه حديث منكر لا يُعرف إلا من طريق حسين الأشقر. وهو شيعى متروك. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب اهـ.



الصحيح في تفسير أصحاب القرية:

إنه يقول في القرآن: ﴿واضرب لهم﴾ والضمير يعود إلى اليهود؛ لقوله: ﴿لتنذر قوما﴾ مثل ﴿ما أنذر آبائهم﴾ بأنبياء منهم. فكما أنذروا بأنبياء منهم؛ ننذرهم بك؛ لأنك من غير جنسهم. ولا يمكن أن يكون الإنذار لبني إسماعيل عليه السلام لأنه الإنذار يعقبه هلاك. والله قد جعل مكة حرما آمنا.

والمرسلون: هم رسل رسل عيسى عليه السلام كما في قول النبي ﷺ عن معاذ بن جبل: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله...» والاثنتان: هما برنابا وبولس. والثالث يوحنا كاتب الإنجيل. وقد أرسلهم الله بالإلهام إلى جماعات يهودية من اليهود لغرض: تبليغهم بدعوة المسيح عليه السلام وهى الاستعداد للدخول في دين محمد ﷺ فإذا طلب اليهود أدلة على ذلك: يذكرونهم بالنبوءات المكتوبة في التوراة عن النبي الأُمى الآتى، ويفسرونها لهم تفسيراً يدل على محمد ﷺ فالنبوءات تشهد على صحة دعوة المسيح ودعوتهم. وقد رد اليهود بقولهم ﴿ما أنتم إلا بشر مثنا﴾ أى أنتم يهود مثنا ومن مصلحتكم ومصلحتنا إنكاره ﴿وما أنزل الرحمن من شيء﴾ في التوراة

(١) في التوراة يشوع.

يدل على محمد .

وكان المقاومون للرسل يشتغلون بالسحر. ويدل أن يقولوا لهم: أنتم سحرة مثلنا فيتجادلون فيه هل له تأثير أم لا؟ هل الله أمر به أم لم يأمر؟ قالوا لهم: أنتم تستعملون نوعا من السحر. وهو التطير. وهددوهم بالقتل رجما. لأن المخالف لأي حكم من أحكام التوراة يكون جزاؤه القتل وهم في نظرهم مخالفون. وردوا عليهم: أيكون جزاؤنا الرجم ونحن ما خرجنا على أحكامها؛ فإننا ذكرناكم بما فيها عن هذا النبي الآتي «أئن ذكرتم» تكون تهمتنا المخالفة، ويكون جزاؤنا الرجم؟

فلما حدثت مشاغبة بين طائفة آمنت بكلامهم، وبين طائفة لم تؤمن. أرسلوا إلى ملك المدينة؛ ليفصل في هذا النزاع. فجاء من أقصى المدينة يسعى. وانضم إلى المؤمنين، ونصح اليهود بالانضمام إليهم.

ومما قاله لهم: «وما لي لا أعبد الذي فطرني» على شريعة هذا النبي إذا جاء؟ أتركه، وأتخذ من دونه سادة معلمون للتوراة؟ لا يصح هذا؛ لأن في التوراة عن محمد ﷺ أنه يشفع في المذنبين (إشعياء ٥٣) وهم لا يشفعون. والتفت إلى الرسل قائلا: «إني آمنت بركم» أي بسيدكم الذي تدعون إليه وهو النبي ﷺ ولو قدر لكم أن تسمعوني حين يحضرنى الموت، والملائكة تقول لي: ادخل الجنة. لقلت «يا ليت قومي» بنى جنسى بنى إسرائيل «يعلمون بما غفر لي ربي، وجعلني من المكرمين»

وبين أن الله ما أنزل على اليهود من بعد هذا الملك الصالح «من جند من السماء» أي لا نبوة من بعد عيسى عليه السلام «وما كنا منزلين» لأن النبوة ستنتقل إلى بنى إسماعيل عليه السلام.

ثم تكلم عن هلاكهم في يوم الرب بما هو مذكور في سفر يوثيل. والاعتراض على هذا التفسير:

هو في مغاييرته بين القرية وبين المدينة. ويزول الاعتراض بقولنا: إن

الملك كان يملك على مدينة عظيمة مكونة من عدة قرى. ولما سمع بما حدث في القرية التابعة للمدينة التي هي عاصمة ملكه؛ اتجه إلى القرية من مكان بعيد في المدينة كان يقيم فيه.

والقصة في الإنجيل يفهم منها ذلك. فإن الثلاثة قد حضروهم الوالى «سرجيوس بولس» وهم يجادلون «عليم الساحر» وكان الساحر يطلب أن يُفسد الوالى عن الإيمان ثم فارقهم الثالث ورجع إلى أورشليم. وعند هذا الحد لم يرد في الإنجيل ذكر التهديد بالرجم. وقد ورد بعد ذلك.

ورد: أن الاثنين دخلا مدينة «إيقونية» وبشرا بكلمة الله «فانشق جمهور المدينة. فكان بعضهم من اليهود، وبعضهم مع الرسولين. فلما حصل من الأمم واليهود مع رؤسائهم هجوم؛ ليبغوا عليهما، ويرجموها؛ شعرا به؛ فهربا إلى مدينتى إيكاونية؛ لِسِتْرَةٍ ودربة وإلى الكورة المحيطة. وكانا هناك يبشران» وورد: أن اليهود رجموا بولس، وجروه خارج المدينة.

وإن لم يزل الاعتراض بأن القرية تابعة للمدينة التي هي عاصمة البلاد؛ فإنه يتوجب القول بأن للقرية قصة، وللمدينة قصة؛ وذلك لأن التهديد بالرجم لم يرد في القرية -بحسب نص الإنجيل-

والحق: أن في الإنجيل تبديل وتغيير. في هذا الموضع. وبيان ذلك: أن هذا الموضع من الإنجيل بشارة بمحمد ﷺ انظر إلى قوله: «ثم أتى يهود من أنطاكية وإيقونية، وأقنعوا الجموع؛ فرجموا بولس، وجروه خارج المدينة، ظانين أنه قد مات. ولكن إذ أحاط به التلاميذ؛ قام ودخل المدينة. وفي الغد خرج مع برنابا إلى دَرَبَةٍ؛ فبشرا في تلك المدينة، وتلميذا كثيرين. ثم رجعا إلى لسترة وإيقونية وأنطاكية؛ يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا في الإيمان، وأنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله»

المناقشة:

قوله «فبشرا في تلك المدينة» بشراً بمن؟ هل بمحمد ﷺ؟ هل بفضران الخطايا بدم المسيح على الصليب؟ إنهما بشرا باقتراب ملكوت الله. فمن هو صاحبه؟ وفي أي زمن يتأسس؟

إنجيل الديداكي:

وفي إنجيل الديداكي عن المبشرين المتجولين إذا دخلوا قرية واجتمعوا بالجماعات النصرانية التي فيها، أو أسسوا جماعة وجعلوا لها قساً؛ أن لا يأخذوا أجراً.

وفي القرآن الكريم: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا﴾

وفي الأصحاح الأربعين من سفر إشعياء أنهم يبشرون بالنبي الآتي الذي

(١) ففي الأصحاح الثالث من إنجيل لوقا:

«وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر إذ كان بيلاطس البنطى والياً على اليهودية وهيرودس رئيس ريع على الجليل وفيلبس أخوه رئيس ريع على إيطورية وكورة تراخونيتس وليسانايوس رئيس ريع على الأبلية. في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية. فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. كما هو مكتوب في سفر أقوال إشعياء النبي القائل صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبيله مستقيمة. كل وادٍ يمتلئ وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة والشعبات طرقاً سهلة. ويبصر كل بشر خلاص الله.

وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة. ولا تبدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أباً. لأنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم. والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار. وسأله الجموع قائلين فماذا نفعل. فأجاب وقال لهم من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له طعام فليفضل هكذا. وجاء عشاريون أيضاً ليعتمدوا فقالوا له يا معلم ماذا نفعل. فقال لهم لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم. وسأله جنديون أيضاً قائلين وماذا نفعل نحن. فقال لهم لا تظلموا أحداً ولا تشوا بأحد واكتفوا بعلائفكم.

وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح أجاب يوحنا الجميع قائلاً أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى منى الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه. هو سيمعدكم بالروح القدس ونار. الذي رشفه في يده وسينقى بيده ويجمع القمح إلى مخزنه. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ. وبأشياء أخر كثيرة كان يعظ الشعب ويبشرهم» (لوقا ٣).

وعدهم الله به بكلام صدر منه على لسان إشعياء. وكانوا يبشرون به بلقب «الكلمة» وفي إنجيل لوقا: «كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا^(١)» وفي أصحاب القرية أنهما «تكلمتا بالكلمة».

النص الثالث:

وهو نص يبين أن «بولس» ألغى حرمة السبت. وبإلغائه يكون المسيحيون مرتدين عن اليهودية:

«فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت. التي هي ظل الأمور العتيدة وأما الجسد فللمسيح. لا يخسرکم أحد الجمالة راغباً في التواضع. وعبادة الملائكة متداخلاً في ما لم ينظره منتفعاً باطلاً من قبل ذهنه الجسدي. وغير متمسك بالرأس الذي منه كل الجسد بمفاصل وربط متوازراً ومقترناً ينمو نمواً من الله.

إذاً إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم فلماذا كأنكم عاثشون في العالم تفرض عليكم فرائض. لا تمس ولا تذوق ولا تجس. التي هي جميعها للقناء في الاستعمال. حسب وصايا وتعاليم الناس. التي لها حكاية حكمة بعبادة نافلة وتواضع وقهر الجسد ليس بقيمة ما من جهة إشباع البشرية» (كولوسي ٢).

ملاحظة:

رجم موسى عليه السلام الرجل الذي اعتدى على حرمة السبت. والمسيحيون اعتدوا على حرمة؛ فمن ينوب عن موسى في تنفيذ الحكم عليهم؟ هو النبي الذي أتى خلفاً له وهو محمد ﷺ المكتوب عنه في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية وفي الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا.



تم الكتاب والله الحمد

الفهرس

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	- المقدمة
٣	- نص القرآن عن اعتداء اليهود فى يوم السبت
٤	- المسيح لم يكسر السبت
٥	- الوصايا العشر فى التوراة
٦	- المسيحيون كسروا السبت رغم أنف المسيح
٩	- نصوص من التوراة عن حرمة يوم السبت والأعتداء فيه
٩	- الصوريون كانوا يبيعون السمك فى أورشليم يوم السبت
١٠	- رجم موسى للمعتدى على حرمة السبت
١٠	- معجزة لنبي الله اليسع عليه السلام
١٣	- الفصل الثانى فى نصوص من القرآن فى يوم السبت
١٣	- تفسير القرآن من ابن كثير
٢٥	- الإنجيل لم ينسخ التوراة
٣٢	- لعنة الله على اليهود فى سفر الزبور
٣٣	- المزمور ١١٩
٣٩	- تفسير «إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة»
٤٠	- من أحكام صلاة الجمعة
٤٧	- الفصل الثالث فى نصوص من الإنجيل عن يوم السبت
٤٨	- حكم ومواعظ المسيح من إنجيل لوقا
٤٩	- أصحاب القرية فى سورة يس من الإنجيل

الصفحة

الموضوع

- ٥٤ - نص القرآن عن أصحاب القرية وتفسيره من ابن كثير.....
- ٦٢ - الصحيح في تفسير أصحاب القرية.....
- ٦٥ - إنجيل الديداكي.....
- ٦٦ - كلام بولس في نسخ حرمة السبت.....
- ٦٦ - المسيحيون مرتدون عن اليهودية.....
- ٦٧ - فهرس الكتاب.....
